Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الماء موضعا ، ولأنك تكنز فى جوفك كنزا لا يجد الماء معه مدخلا فان قال : ما أنام الليل كله وقد أهلكنى الأرق · قال : وتدعك الكظة والنفخة والقرقرة أن تنـــام ؟

فان قال : ما هو الا أن أضع رأسى فانما أنا حجر ملقى الى الصـبح· قال ، ذلك لأن الطعام يسكر ويخدر ويختر ويبل الدماغ ويبل العروق ويسترخى عليه جميع البدن ، ولو كان فى الحق لكان ينبغى أن ننام الليل والنهار » (٤٢)

●● ··· وأخيرا ، وقبل أن ننتقل الى نوعية أخرى من أنواع هذه المقالات ، نقدم طرفا من رسالته « التربيع والتدوير » ·· ليعود اليها من يشاء وحيث تتمثل فيها هذه الخصائص المقالية الكاريكاتورية الجاحظية مجتمعة·· ومن ثم فمن غير المعقول ألا ننقل عنها هذه السطور القليلة :

« أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك وكرامته لك · قد علمت ، حفظك الله ، أنك لا تحسد على شىء حسدك على حسن القامة ، وضخم الهامة ، وعلى حور العين وجودة القد ، وعلى طيب الأحدوثة والصنيعة المشكورة · وأن هـــذه الأمور هى خصائصك التى بها تكلف ، ومعانيك التى بها تلهج ·· وبعد ، أبقاك الله فأنت فى يدك قياس لا ينكسر ، وجواب لا ينقطع ، ولك حد لا يفل، وغرب لا ينثنى ، وهو قياسك الذى اليه تنسب ، ومذهبك الذى اليه تذهب ، أن تقول : وما على ان رآنى الناس عريضا وأكون فى حكمهم غليظا ، وأنا عنـد الله طويل جميل ، وفى الحقيقة مقدود رشيق · وقد علموا ، أبقاك الله ، أن لك مع طول البادراكبا طول الظهر جالسا · ولكن بينهم فيك اذا قمت اختـلاف، وعليك لهم اذا اضطجعت مسائل ، ومن غريب ما أعطيت وبديع ما أوتيت أنا لم نر مقدودا واسع الجفرة غيرك ، ولا رشيقا مستفيض الخاصرة سواك ، فأنت المديد . وأنت البسيط ، وأنت الطويل ، وأنت المتقارب · فيا شعرا جمع الأعاريض ، ويا شخصا جمع الاستدارة والطول ! بل ما يهمك من أقاويلهم ويتعاظمك من اختلافهم ، والراسخون فى العلم والناطقون بالفهم يعلمون أن استقاضة عرضك قد أدخلت الضيم على ارتفاع سمكك ، وأن ما ذهب منك عرضا قد استغرق ما ذهب منك طولا · ولئن اختلفوا فى طولك لقد اتفقوا فى عرضك ، واذ قد سلموا لك بالرغم شطرا ومنعوك بالظلم شطرا · فقد حصلت ما سلموا وأنت على دعواك فيما لم يسلموا · ولعمرى ان العيون لتخطىء